البابُ الثاني

المُتغيّرات

قرنٌ مِن الصّراع الدّامي..
دراسةٌ تقييمية

الفصلُ الأوّل:

جهادُ الشعب الفلسطيني

الفصلُ الثاني:

جهادُ الشعوب العربية والإسلامية

الفصلُ الثالث:

دورُ الحكومات العربية والإسلامية والعالمية

الفصلُ الأوّل

جهادُ الشعب الفلسطيني

يلاحظ دارسُ التاريخ- بوضوح وجَلاء- أنّ الشعب العربي الوحيد الذي دفع أبهظ ضريبةٍ للاحتلال الصهيوني لفلسطين هو بالطبع الشعبُ الفلسطيني، لقد واجهت الأمّة الفلسطينية أبشعَ أنواع الاحتلال الأوروبي الأمريكي الصهيوني الاستيطاني، وسالت دماءُ أهل فلسطين جيلًا بعد جيل، ولا تزال تسيل بحورًا وأنهارًا، وتعرّض الفلسطينيون لأبشع مؤامرةٍ رواها التّاريخ وتناقلتها الأخبار في هذه الحقبة من الزمان، تلك المؤامرةُ التي شارك فيها كلّ العالم بما فيه عالمنا العربي والإسلامي.

فكما سنرى في هذا التقييم أنّ قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين تمّ توظيفها لخدمة مصالح الحكومات والأحزاب السياسية في العالم أجمع دونما أن تشعر تلك القوى في يوم من الأيام بأيّ نوع من الشفقة الإنسانية على ما يجري لهذه الأمة المبْتَلاة من تصفيةٍ جسدية وتنكيلٍ رهيب وتجويعٍ وتشريدٍ وضغوطات بلغت مِن الثّقل والكآبة والأحنان ما هو أثقلُ من جبالِ العالم كله، ومع ذلك فإنّ قمة الإعجاز الذي يأخذ بلبّ الدّارس لحياة هذا الشعب الفلسطيني لقرنٍ مضى من الزّمان أنه ما زال حيًّا نابضًا، بل والأكثر إعجازًا من ذلك أنه ما زال يحمل السلاح ويقاتلُ قتال المجاهدين، بل والأشد إعجازًا أنه بحقّ يجاهد جهاد المسلمين الأوائل، ويعيدُ سيرة الأنبياء، ويصل الماضي بالحاضر على أرض الأنبياء وبطريقتهم وصبرهم وعمقِ إيمانهم.

كانت فلسطين في بداية المحنة- أي بداية القرن العشرين (١٩١٦م)- ولايةً إسلاميّة ضمن ولايات الخلافة العثمانية، ولكونها أرض الأنبياء، وفيها قبور

الكثيرين منهم، كما أنّ بها آثارهم ومعابدهم وفي مقدمتها المسجد الأقصى الذي نزلت فيه آيات الذكر الحكيم.

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

لكلّ هذه الكرامات؛ جعلها السلطان العثماني وقفًا عامًّا للمسلمين، ويعني هذا أن تكون حركةُ المسلمين من فلسطين وإليها حرّةً ودونَ قيودٍ، كما جعل إدارتها تحت إشرافه مباشرة، وعيَّنَ لها حامية تركية لحراستها مِن كلّ ما تعرّضت له من أعمال احتلالٍ وتدمير على مدار التاريخ.

وعندما ضعفت الدولةُ العثمانية، وهاجمتها الأمراضُ الحضارية هجمت عليها كلّ فلول الكفر بكلّ حقده وكراهيته للإسلام، وراح يقتطعُ أملاكها، ويقطع أوصالها قطعةً قطعة خلال حربيْن عالميّتين مَهولتين.

لقد تعرّضت كلّ البلدان العربية والإسلامية بوصفها أسلاب الدولة العثمانية للغزو والاستعمار، ومِن ضمن هذه البلدان كانت حامية فلسطين. غير أنّ البلدان جميعها كانت لها حكومات قائمة وحدود دولية معروفة من قبل الخلافة العثمانية ومن بعدها، إلّا فلسطين فكانت مَشاعًا لعموم المسلمين، ولم يكن لها إدارة محدّدة.

وأمامَ هذه الهجمة الأوروبية الاستعمارية راحت كلّ دولة تدافع عن نفسها منفردة في مواجهة الغزاة الأوروبيين إلّا فلسطين فلم يكن لها رئيس ولا حكومة معروفة؛ لأنّ حاكمها المباشر كان الخليفة بنفسه، ولم يكن لها صاحبٌ محدّد فقد شاع أنها وقفٌ إسلامي لكلّ مَن أراد مِن المسلمين أن يعيش بجوار الأقصى وعلى تراب الأنبياء وصحابتهم، ومِن هنا لما سقط الخليفة حدثَ فراغٌ سياسي في فلسطين،

وكان هذا الفراغ قد أضعف نقاط المواجهة مع العدو في قضية فلسطين على مدار القرن الماضي.

كلّ الحكومات المجاورة أعلنت أنها مسئولةٌ عن فلسطين بينما كانت في الكتمان تنهشُ في لحم فلسطين وهو حرام، هناك حكومات حاولتْ أن تزيد مساحتها على حساب أرض فلسطين، وتآمرتْ تلك الحكومات مع الغزاة المحتلّين – كما سنرى في هذه الدراسة– ومكّنتهم من رقاب المسلمين مقابلَ سكوت تلك العصابات على ما نهبته تلك الحكومات من أرض فلسطين، وهناك حكومات تاجرت بقضية فلسطين لتبتزّ محكوميها، وتضحك عليهم، وتخدعهم بشعارات لا وجود لها في الواقع. وهناك من صنوف المؤامرات على فلسطين ما تزكم رائحته أنوفَ العالمين.

ومع بداية المحنة، ظلّ الشعب الفلسطيني ينتظر المددَ من حاكمه وحكومته التي كانت في مقرّ الخلافة، ولكنّ المدد لم يأت؛ لأنّ الخلافة وحكومتها كانت تلفظ أنفاسَها الأخيرة على يدِ العلمانية التركية بقيادة كمال أتاتورك وتوابعه من الكافرين بالحضارة الإسلامية شكلًا وموضوعًا عقيدةً وشريعة، وفي الوقت الذي أدرك الشعبُ الفلسطيني هذه الحقيقة المرّة، واستيقن من أنها صارت واقعًا. هنا بدأت معاناة الشعب الفلسطيني، وبدأ يواجهُ العدوان العالمي والمؤامرة العالمية بنفسه وإمكانياته المتواضعة مقارنةً مع ما يمتلكه المجرمون الصهاينة المدعومون بكلّ قوى الاستعمار العالمي المعاصر.

ومنذ عام ١٩٢٤– وهو تاريخ سقوط الخلافة الإسلامية وإعلان وفاتها – والشعبُ الفلسطيني يسطّر على أرضه أروعَ بطولة عرفها التاريخ لشعب معاصر، ومن هذا التاريخِ والأحداثُ على أرض فلسطين تتوالى نهرًا متدفقًا دونما انقطاع أو توقف.

نعم.. لقد كانت هناك فتراتُ هدوء نسبي في هذا التدفق الجهادي للشعب الفلسطيني بسببِ عوامل التجهيل والخداع التي طبقت على بعض أجياله، ولكن هذا الهدوء لم يصل قطّ إلى مرحلة التوقف عن الجهاد والمقاومة في أي يوم من التاريخ الفلسطيني المعاصر.

ولقد كانت هناك شبه معاونات من بعض الشعوب المجاورة لفلسطين وفي أضيق نطاق، ولكنّ حجم المؤامرات والشكوك والريب التي لاقاها الفلسطينيون من هذه الشعوب يتعدّى في أثره السلبي ما قدمته تلك الشعوب من معونات متواضعة، بل ويرجّح كِفة الخذلان على كفة المعاونة والمآزرة.

إنّ دراسة التاريخ المعاصر تقول- بلا تلعثُم- إنّنا جميعًا في عالمنا العربي والإسلامي مُدانين للشعب الفلسطيني، وعلينا أن نشعرَ بالخجل والخيبة؛ لأننا تركناهم وحدهم يواجهون أشرسَ أنواع العدوان الذي جاء ليقتلنا جميعًا، ويشرب دماءنا جميعًا، وينهي حضارتنا جميعًا من الوجود كما صوّرت له كراهيته وبغضاؤه.

لقد وضعتِ الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر من سنة ١٩١٨م، وكانت الجيوش الإنجليزية المنتصرة على العثمانيين والألمان تسارع باحتلال أراضي الدولة العثمانية ومنها فلسطين، وبالفعل دخل الإنجليز المحتلّون فلسطينَ منذ عام ١٩١٧، في الوقت الذي قرّرت فيه قوات الجيش العثماني الانسحاب للدفاع عن الخليفة في الآستانة (إسطنبول) أولًا، ولتجنيب المدينة المقدسة بما فيها من آثار مهمّة ويلاتِ الحرب ودمارها، وبذلك دخل الإنجليز فلسطين بلا مقاومة تُذكر.

لم يصدّق سكان القدس الذين احتشدوا في الساحة العامة ليستمعوا إلى كلمة حليفهم (ضدّ الأتراك العثمانيين) الفيلد مارشال اللنبي، لم يصدقوا آذانهم وهو

يقول: اليومَ انتهت الحروب الصليبية. يومها انسحب المفتي وعددٌ من الزعماء احتجاجًا على الكلام الذي نزل عليهم كالصاعقة، وللأسف فقد كان احتجاجًا لا قيمة له؛ فقد جاء بعد فوات الأوان، وكمْ سخرَ التاريخ من المغفلين.

وفي أواخر عام ١٩١٨، سيطر الإنجليزُ على جميع أرجاء فلسطين، وفصلوها عمليًّا عن بقية أجزاء سوريا الأخرى، وتركوا باقي سوريا للاستعمار الفرنسي.

وفي نفس العام الذي دخلوا فيه فلسطين، أعلن الإنجليزُ عن نيّتهم في تمكين اليهود من فلسطين ليقيموا دولةً لهم على أرضها فيما عُرف بوعد بلفور ١٩١٧.

وفي نفس العام الذي تمكنوا فيه من كلّ فلسطين (١٩١٨)، بدأوا بقوة في تحقيق ما وعدوا الصهاينة بتحقيقه لهم.

كان أولُ إجراء معلَن في الجريمة البريطانية هو استقبال «اللّجنة الصهيونية» القادمة من أوروبا بقيادة الصهيوني وايزمان، وقدّمت بريطانيا كلّ دعم وحماية لهذه اللجنة لتنشئ مزارعَ ولإقامة مستعمرات حصينة للمهاجرين اليهود، وفي نفس الوقت بدأ اليهود المتسرّبون من قبل في إظهار هويّتهم الاستعمارية، واجتمع الشّرّان على إنجاح الخطوات الأولى لعملية الاقتطاع والانتهاب.

في أول عام ١٩١٩، وبالتحديد في ٢٧ من يناير (كانون الثاني) ١٩١٩، اجتمع ممثلو المدن الفلسطينية في مؤتمر جامع يتدارسون المحنة، ويتشاورون في أمر ردّ الفعل. وكالعادة، ومثل كلّ المؤتمرات التي عشناها، أصدروا بيانًا عن المؤتمر، ووجّهوه- كالعادة- إلى كلّ أعدائهم الذين صنعوا محنتهم. نسخة إلى ممثلي الخلفاء المنتصرين في الحرب، ومنهم الدّولة المستعمرة بريطانيا، ونسخة إلى مؤتمر السلام في باريس المنعقدُ لتوقيع المهزومين على هزيمتهم في الحرب.

وجاءَ في البيان:

١ـ دحض تاريخي وديني لمزاعم اليهود في فلسطين.

٢ـ الرفض التّام لوعد بلفور.

٣ـ أملاك اليهود لا تتجاوز ٢,٥٪ من مساحة فلسطين، وعددهم لا يتجاوز ٩٪ من مجموع سكانها، فكيف يُعقل أن تحكم الأقلية الوافدة الأكثرية القاطنة.

٤ـ فلسطين جزءٌ من أجزاء سوريا الجنوبية لم تنفصل عنها في طور من أطوارها، وتربطنا وإيّاها الروابط القومية والدينية واللغوية والأخلاقية والاقتصادية والجغرافية.

٥ـ إن ما تدّعيه فرنسا من حقوق في بلادنا لا أصل له ولا نقبله. غضبت بريطانيا من هذا البيان الذي رفض الاحتلال البريطاني والفرنسي، ورفض وعد بلفور، ولم تسمح لمندوب المؤتمر بالسفر إلى باريس لتقديم بيانهم إلى مؤتمر السلام في الوقت الذي سمحت فيه بسفر وفدٍ صهيوني ليمثل فلسطين أمام المؤتمر الدولي.

وبكلّ صلفٍ وتبجّح أعلن ممثلُ الصهاينة في المؤتمر الدولي أنه غير راضٍ عن تحديد فلسطين وحدَها وطنًا لليهود، وطالبَ بأن يكون الوطن القومي للصهاينة شاملًا شرق الأردن وأجزاءً من سوريا ولبنان، واعتباره دولة يهودية كما أن إنجلترا إنجليزية.

اتّخذ مؤتمر السلام قرارًا بتطبيق حقّ تقرير المصير في البلدان العربية لترى الشعوب بنفسها مَن يحكمها بعد زوال الحكومة العثمانية، ورغم اعتراض بريطانيا

وفرنسا على ذلك، ولكنّ أمريكا زعيمة المؤتمر أصرت على إرسال لجنة تقصّي حقائق في المنطقة سمّتها لجنة (كنغ – كرين) لتقصي رغبات السكان.

رحّب الفلسطينيون- مسلمون، ومسيحيّون- باقتراح اللجنة إياها، وقاموا بمظاهرات جمعت كلّ أهل فلسطين تقريبًا في مارس ١٩١٩ ليدعموا فكرة اللجنة الأمريكية، ويرحّبوا بقدومها.

في ١٠ من يونيو (حزيران) ١٩١٩، وصلت اللجنة الأمريكية بالفعل، واتصلت بجميع السكان والهيئات المسيحية والإسلامية والمساجد والجمعيات ورؤساء المدن، واستقرّ عندها أن الشعب الفلسطيني بأسره يرفض وعد بلفور، ويرفض استلاب فلسطين لتكون وطنًا للمهاجرين الصهاينة.

أصرّت بريطانيا على إجهاض تلك اللجنة، ومضت في طريقها المشئوم لتمكين الصهاينة من فلسطين، وأمّا اللجنة نفسها فقد أصبحت في خبر كان، ولم يعرْها أحدٌ أيَّ اهتمام، ولم تسعَ أمريكا كعادتها إلى تحقيق ما أعلنت أنها تؤيده.

لقد كانت لجانُ أمريكا دائمًا طيلة القرن الماضي من أول هذه اللجنة إلى لجنة تنت في عام ٢٠٠١ وسيلةً أمريكية للتجسس وإعطاء الوقت للصهيونية لإتمام مشروعاتها الإجرامية على أرض فلسطين وشعبها.

بحلول عام ١٩٢٠، أدرك الشعب الفلسطيني، واقتنع أن القوى العالمية بما فيها الحكومات العربية قد تخلّت عن قضيته، وأنه وحده في المواجهة، فكانت أول ثوراته في عام ١٩٢٠م.

واجهت بريطانيا هذه الثورة الشعبية بكلّ جبروت وتعسف، وأعلنت في صلفٍ وكِبْر أنها ستمضي في مخطّطها، وأمضت في تحدّيها للشعب الفلسطيني، وعينت

وزيرًا مختصًّا لتحقيق ما وعدت به بريطانيا حلفاءها الصهاينة، كان هذا الوزير يدعى (هربرت صموئيل)، والأهمّ مِن ذلك أن نعلم أنه يهودي بريطاني الجنسية.

اعتبرت بريطانيا هربرت صموئيل الرئيس الفعلي لفلسطين، ووضعت تحت إمرته كلّ إمكانياتها العسكرية والسياسية ليحقّق حلمَ الصهاينة بالطريقة التي يريدونها.

شرع هربرت صموئيل في تهويد كلّ شيء في فلسطين، وبدأ بالقانون، وسنّ دستورًا للبلاد، وجعل مِن موادّه مطيّة لتحقيق مطامع الصهيونية، ووسيلة لاقتطاع الأرض والأملاك للمهاجرين الصهاينة الجدد.

ونارُ الحرب أوّلها كلام:

عند هذا الحدّ سكت الكلام، وبدأت أعمال التصفية الجسدية لأهل فلسطين، ففي أبريل عام ١٩٢٠، اجتمع المسلمون في عيد سنوي يسمى «موسم النبي موسى» واستغلوا هذا الاجتماع للهتاف والتنديد بالاحتلال البريطاني والصهيوني، وفي اللحظة التي اشتدّ حماس خطيبهم الشاب أمين الحسيني سمعت طلقات أول الرصاصات الموجّهة إلى أجساد الفلسطينيين.. وعلا صوت الرصاص وغطى على كلّ الخطباء والكلمات والنداءات، وسقط الشهيد الأول والثاني والثالث، والتفت الكلّ إلى مصدر الرصاص فإذا به ينطلق من بنادق صهيونية وأيدي صهيونية لأول مرة، هبّت بريطانيا لحماية المجرمين الصهاينة، وتأمين حياتهم وإخماد كلّ الاحتجاجات على ذلك وإدانة الفلسطينيين واتهامهم بأنهم من مثيري الشغب، واعتقال قادتهم، وإلقائهم في السجن، وفي مقدمتهم الشاب أمين الحسيني.

وعندما أخمدت الثورة الأولى، جاء وزير المستعمرات البريطانية «تشرشل» ليدشّن هذا الانتصار، وزيادة في التطرف وضع بالمناسبة حجر الأساس لأول جامعة عبرية على أرض فلسطين.

تكرّرت ثورات الفلسطينيين في مواجهة الاحتلال البريطاني والصهيوني في مايو ١٩٢١، وكانت أشدّ وأقوى، ولكنّها ثورة العزل في مواجهة القوة الباطشة؛ ولذلك أسفرتْ عن مزيدٍ من الشهداء، والجرحى والمعتقلين.

واصل الشعبُ الفلسطيني دعمَه لمَمَثّلي المدن الفلسطينيين الذين اجتمعوا أول مرة في عام ١٩١٩ تحت مسمَّى (المؤتمر العربي الفلسطيني)، وتنادى المؤتمرون للاجتماع الرّابع في القدس في الفترة من ٢٩/ ٥ إلى ٤/ ٦/ ١٩٢١ في أعقاب الثورة.

وحتى هذا التاريخ كان العرب مغفّلين سياسيًّا لدرجة أنهم بعد كلّ ما سبق من إجراءات التّهويد ما يزالون يثقون في بريطانيا، ويتصوّرون أنها ستفعل لهم شيئًا، أو تحقّق لهم بعض مطالبهم، توجّه الوفد إلى بريطانيا ليعرض قضية الفلسطينيين ومطالبهم.

في ٢٠ من أغسطس ١٩٢٢، عاد الوفدُ بعد معاناة في المحادثات مع بريطانيا، ووجد أمّة بأسرها تنتظرُ عودته بكلّ لهفةٍ وشغف لتعرف ردّ بريطانيا على مطالب العرب، وعندما علموا أنّ بريطانيا رفضت كلّ مطالبهم عقدوا مؤتمرًا ليعلنوا فيه أنهم سيتّخذون كلّ الوسائل المشروعة والقانونية لتحرير بلادهم، وكان ذلك في نابلس.

وعلى نفس الوتيرة، تكرّرت المؤتمرات: السادس في يافا عام ١٩٢٣ والسابع في القدس في يونيو ١٩٢٨.. ثمّ.. ثمّ ماذا؟ ثمّ ملَّ الناس المؤتمرات، ولم يعودوا إليها. لقد ضيّع الفلسطينيون وقتًا ثمينًا من عُمر قضيتهم منذ عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٢٩ في مفاوضاتٍ لا جدوى من ورائها حتى كانت أولُ مواجهة حقيقية مع المعتدين في عام ١٩٢٩ فيما عُرف بعد ذلك بثورة البراق، وكانت بمثابة **الانطلاقة الأولى من المسجدِ الأقصى**.

(ثورةُ البراق ١٩٢٩):

تجمّع الناس في المسجد الأقصى، وقرّروا إزالة كلّ مظاهر التهويد من حوله، وتطهيره مِن دنس الصهاينة الذين وضعوا إضافاتٍ تخصّهم عند حائط البراق، وغيّروا مسمّاه إلى حائط المبكى تحتَ حماية الجيش البريطاني وعصابات مسلحة من الصهاينة.

وفي يوم الجمعة، وكان ذكرى مولد الرسول ﷺ والموافق ١٤ من أغسطس ١٩٢٩، هاجمت مجموعات ضخمة من المسلمين تجمعات اليهود حول المسجد الأقصى، وحطّمت كلّ ما أقاموه من تغييرات، وأحدثوه من تشوّهات، وردّت بريطانيا عليهم بالنيران، واستخدمت الطائرات في قصف المتظاهرين، وانتقلت الاشتباكات إلى المدن الأخرى وإلى القرى، وشهدت فلسطين لأول مرة أسبوعًا جهاديًّا حربيًّا بين العرب والمسلمين والمسيحيين من جهة وبريطانيا والصهاينة من جهة أخرى، ولأوّل مرة يحدث هذا التمايز في إطارٍ من الحرب المسلّحة، وعرف هذا (بثورة البراق الأولى).

وكالعادة، شكّلت بريطانيا لجنة تحقيق، وتمت إدانة العرب، وتمّ اعتقال المزيد من قادتهم وإلقاؤهم بالسّجون، والأخطر من ذلك حُكمَ على ثلاثة منهم بالإعدام، وهُم:

١ـ الشهيد/ محمد جمجوم. ٢ـ الشهيد/ فؤاد حجازي.

٣ـ الشهيد/ عطا الزير.

ونفّذ فيهم الإعدام فعليًّا يوم ١٧ من يونيو ١٩٣٠.

في هذا اليوم الحزين، باتت فلسطين كلها تنزف دمًا، وتذرف دمعًا، ولأوّل مرة غنَّى الشعبُ الفلسطيني للبطولة والجهاد، وجعلها حلمًا من أحلامه، وردّد الناس معًا أنشودةً واحدة كان مطلعُها:

يا ظـــلام السجن خيّم إننا نهــوى الظـــلاما
ليس بــعــد السجن إلا فــجــر بـدر يتسامى

وكان ميلاد أغنيات الدّم التي نمت وشبّت فصارت أغنيات الانتفاضة.

حاولت بريطانيا امتصاصَ غضب الشعب الفلسطيني؛ فأصدرت ما سمّته «الكتاب الأبيض» ودبّجت فيه عبارات وكلمات توحي أنّ بريطانيا لم تعد توافق على مزيدٍ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ حيث لا توجد أرضٌ فراغ تستوعبهم، ولكن المنظماتِ الصهيونيةَ شنّت حملة اعتراضات على ذلك، فراحت بريطانيا تؤكّد لهم سرًّا وعلانية أنها لن تتخلّى عنهم وعنْ وعد بلفور، وأنها ماضية في سياستها لإقامة وطنٍ لليهود في فلسطين.

المؤتمرُ الإسلامي الشعبي الأوّل من أجل فلسطين:

في ٢٧ من رجب (ليلة الإسراء والمعراج) عام ١٣٥٠هـ الموافق ٧ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١م، انعقد أكبرُ مؤتمرٍ شعبي جامع لشعوب العالم الإسلامي في مدينة القدس، وفي حرم المسجد الأقصى، رأس المؤتمر الحاج/ أمين الحسيني- مفتي فلسطين- وحضره ١٤٥ مندوبًا يمثلون العالم الإسلامي، وجاءت مُقررات المؤتمر جامعةً لكافة مآسي الأمة الإسلامية، وما تلاقيه من عنتٍ واضطهاد، وركزت في نهايتها على إسلامية فلسطين، وضرورة الاستمرار في العمل الشعبي، وانتخبتْ لجنة دائمة للمؤتمر، وشكّلت لجانًا تابعة له في عددٍ من البلدان الإسلامية.

المنظماتُ الفلسطينيّة الأولى:

في هذا التاريخ. تبلْورت الحركة الشعبية الفلسطينية في عدّة منظمات تعمل جميعًا لمقاومةِ الاحتلال الصهيوني والبريطاني، وتنادي بتحرير فلسطين، وعودتها للعروبة والإسلام، وأهمّ هذه المنظمات:

١ـ الجمعية الإسلامية المسيحية، تضمّ التيار الإسلامي والمسيحي معًا.

٢ـ المؤتمر الإسلامي، يضمّ التيار الإسلامي، وينمّي العلاقات الإسلامية الفلسطينية على مستوى العالم الإسلامي، ويقودُه الحاج أمين الحسيني.

٣ـ المؤتمر العربي وتقودُه الشخصيات التي شاركت في الثورة العربية ضدّ الأتراك العثمانيين، والتي تحالفت مع بريطانيا والحلفاء لهزيمة إخوانهم في الدين، وهؤلاء شعروا بلطمةٍ شديدة عندما اكتشفوا أنّ بريطانيا ضحكت عليهم، وأنهم كانوا في موقفهم جماعةً من المغفلين سياسيًّا، فانقلبوا ضد بريطانيا وسياستها في المنطقة (ويتوبُ الله على مَن تاب).

ونشأ عن هذه التنظيمات عدّة فعاليات، كان أشهرها:

١ـ عقد مؤتمر للتسليح، نادى بضرورة البحث عن مصادر تسليح للشعب الفلسطيني ليتمكّن من مقاومة الجماعات الصهيونية المسلحة.

٢ـ مؤتمر الشباب العربي الأول والثاني.

٣ـ صندوق الأمّة أو مشروع القرش لجمع التبرعات.

٤ـ لجنة حراسة السواحل لمنع دخول الهجرات اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية.

وخلال أعوام ١٩٣٢، ١٩٣٥، تأسّست عدة أحزاب سياسية جديدة كان أشهرها:

١ـ حزب الدفاع الوطني، يدعمه آل النشاشيبى، وكان ينسق مع الملك عبد الله ملك الأردن، ويدعو لوحدة فلسطينية أردنية.

٢ـ حزب الإصلاح العربي الفلسطيني بزعامة د. حسين الخالدي.

٣ـ حزب الكتلة الوطنية بزعامة عبد اللطيف صلاح.

٤ـ حزب الاستقلال العربي.

٥ـ لجنة مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني.

ولم تحظ كلّ هذه التنظيمات بأكثرَ مِن شريحة ضيقة من الشعب الفلسطيني الذي وقع تحت مطارق الجهل والفقر والمرض والصهيونية والاستعمار وسندان الفرقة والتشرذم.

مرحلة الإضرابات العامة:

اتجهتْ أنظار الفلسطينيين مرّة أخرى نحو «اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني»، وفي موعد انعقاد اللّجنة الطبيعي احتشد جمهورٌ غفير من الشعب الفلسطيني حول الاجتماع، وتعالتْ هتافاتهم مطالبةً باتخاذ قرارات مناسبة للموقف الصعب الذي تمرّ به فلسطين، وبالفعل اتخذت اللجنة قرارًا بسلسلة من المظاهرات في عددٍ من المدن لحشدِ الشعب في مواجهة المحتلين الصهاينة والإنجليز معًا، كما أضافت اللّجنة فعاليةً جديدة هي مواكبة المظاهرات بإضرابٍ عام يشمل كلّ فلسطين يوم المظاهرة.

ونفّذت المظاهرات يقودُها المجاهد «موسى كاظم باشا»، وتمّت الاستجابة العامة لقرار الإضراب. وفي يوم المظاهرة، أصبحت كلّ فلسطين في حالة إضرابٍ شامل. وتمّ ذلك في القدس ويافا، وكانت المواجهة البريطانية للمظاهرات عنيفة وإجرامية وأسفرتْ عن مئات القتلى والجرحى، وتعرّضت حياة موسى كاظم باشا للخطر أكثرَ من مرّة، وهو في ٨٣ من عمره. وكان آخرُ هذه الفعاليات عيدَ الأضحى في مطلع عام ١٩٣٤م.

ثورةُ الشيخ عزّ الدين القسام:

ولدَ عزّ الدين القسام في سوريا عام ١٨٧١، ودرس في الأزهر في مصر عام ١٨٨٥، وقاتل الفرنسيين المحتلين لسوريا طيلة أيام شبابه الأولى، وعندما ضيّقوا عليه الخناق وجد نفسَه أمام خيارين: الاستسلام الذليل أو القبض عليه والإعدام، يومها قرّر الانتقال من ميدانٍ إلى ميدان فتوجّه لمحاربة الإنجلترا والصهاينة في

فلسطين. استقرّ المقام به في قرية الياجور قربَ حيفا بفلسطين، ونزل ضيفًا على صديقه كامل القصّاب، وكان مقدمه ذلك في فبراير ١٩٢٢م.

انتقل بعد ذلك للسكن بأسرته في منازل الوقف المعدة للفقراء.. وعمل مدرسًا في مسجد النصر في حيفا، ثمّ انضمّ إلى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٦م وتدرّج في صفوفها حتى انتُخب رئيسًا لها في يوليو ١٩٢٨.

عملَ خطيبًا في أكبر مساجد المدينة، وكان يسمّى مسجد الاستقلال، وبذلك أصبح متّصلًا بكلّ طبقات الأمة التي أحبّته وأحبّت المسجد الذي كان يخطب فيه.

ومنذ قدومِه إلى فلسطين ١٩٢٢م، وشاغلُه الأول أن يشكل جماعة من المجاهدين القادرين على أحراز النصر على الصهاينة والبريطانيين، وقد تحقق ذلك بالفعل عندما كانت الظروف العامة في فلسطين مهيّأة تمامًا لتبنّي تلك الثورة المنتظرة.

لقد كانت أحداث ١٩٣٣ – ١٩٣٥م، التي سردنا جزءًا منها، مهيئةً لقدوم ثورة عربية إسلامية لتخلّص البلاد من أيدى الغاصبين.

وقد رأى ذلك القسام فجمعَ قياداته التي أعدّها، وأخبرهم أن ساعة الصفر قد حانَت، وكان ذلك في أواخر أكتوبر عام ١٩٣٥م.

خطّةُ الثورة:

جمعَ عزّ الدين القادةَ الذين أشرف على تربيتهم بنفسه، وقد بلغ الستين من عمره في هذه اللّحظات، وراح يلقّنهم خطة العمل خلال الأيام القليلة المقبلة على النحو الآتي:

* يغادر جميعُ أفراد التنظيم أماكنهم فورًا، ويتوجّهون إلى أرض المعركة في جبال جنين القريبة من حيفا، وعليهم أن يودّعوا أهليهم، ويواعدوهم اللّقاء في الجنة.

* وفي قرية كفروان الجبلية، وزّع القائد رفاقَه على قرى: يعبد وفقوعة، وصندلة وقباطية للاتّصال بأهاليها، وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة، حتى يضمّوا إليهم أكبر عددٍ من المناضلين، فإذا اكتمل العددُ الذي يريده هاجمَ مدينة حيفا، واحتلّ دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتبّ له الأمر يعلن قيام الحكومة الوطنية، ويكون أعوانُه في المدن الأخرى قد قاموا بنفس العملية.

ولقد سارت الخطة كما يرام.. ها هو القسّام ابنُ الستين عامًا يتسلل ليلًا، وقد نزع لباسّ الواعظ ليرتدي لباسَ القائد المجاهد.. ويجمع أسرته وأولاده الصغار ليخبرهم بعزمه، ويواعدُهم في جنةِ رضوان. وفي الجبال، اتّخذ رجال (الجهادية) مراكزَ لهم، نهارهم اتصالٌ بالآخرين في القرى المجاورة، وليلُهم عبادة وتهجّد وتدريب على السلاح.

وكان القائد محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قربَ فقوعة فشاهد دورية بوليس مِن الفرسان يقودهم شاويش يهودي، فدبّ الحماس في المناضل الحارس، فأطلق النارَ على الشاويش اليهودي فقتله، إلّا أنّ زميله استطاع الهرب. وفي اليوم الثاني صباح يوم ١٥ من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٥م قامت قوات كبيرة إنجليزية بتطويق جميع القرى المجاورة، ثمّ تطوّرت الأمور فعقدَ اجتماع في مكتب المندوب السامي الإنجليزي، وتقرّر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها. وأرسلت نجدات من رجال البوليس الإنجليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا، تساندهم الطائرات، وزحفت القوات إلى جبال

جنين، وطوّقت منذ طلوع الفجر قرى: يعبد واليامون وبرقين وكفروان وفقوعة. كان الشيخ القسام مع أحد عشرَ مُناضلًا في أحراشِ يعبد في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية مِن يعبد. وحين طلب إليه أن يستسلم أجابَ إننا لن نستسلم، والتفتَ إلى زملائه قائلًا: موتوا شهداء. واستشهد القائد الكبير عزّ الدين القسّام يوم تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٥م.

خلفاءُ القسّام يستأنفون الجهاد:

لم تمض إلّا شهور قليلة حتى كانت الشرارة الأولى لثورة ١٩٣٦م، حينما قام فرحان السعدي ورفاقُه من خلفاء القسام يوم ١٥ من أبريل ١٩٣٦م بنصب كمين لقافلة من ١٥ سيارة صهيونية على طريق طولكرم- نابلس، فأوقعوا بالقافلة إصاباتٍ كثيرةً وقتلى. وكانت الشرارةُ الثانية من يافا لمجموعة أخرى في ١٩ من أبريل ١٩٣٦م، ثمّ انتقلت عمليات الهجوم والمقاومة إلى جميع مدن فلسطين لتشكل امتدادًا جديدًا لثورة القسّام.

نابلس تواصلُ الثورةَ وتقودها:

عقد رجالُ الثورة في نابلس اجتماعًا تنظيميًّا، وقرّروا فيه استمرارية العمل القتالي حتى خلاص البلاد مِن المحتلين الإنجليز قبل الصهاينة، وانتخبوا قيادة للثورة مكوّنة من:

١ـ عبد اللطيف صلاح. ٢ـ أكرم زعيتر. ٣ـ فريد الفيشاوي.

٤ـ أحمد الشكعة. ٥ـ واصف كمال. ٦ـ حكمت المصري

وفي اليوم التالي، تجاوبت مدن القدس ويافا مع نابلس، واختارت لجنة قومية لقيادة الثورة في حدودهما.

وفي اليوم الثالث، تجاوبت بقية مدن فلسطين، وأصبح هناك في كلّ مقاطعة فلسطينية لجنةٌ قومية لمواصلة ثورة القسام.

وفي ٢٥ من أبريل ١٩٣٦م، تمّ تشكيل قيادة سياسية عليا تحت مسمى «اللجنة العربية العليا»، واختارت الحاج أمين الحسيني رئيسًا لها، وكان قد اعتزل العمل في مواجهة الإنجليز منذ عام ١٩٣١م، وبذلك اعتبرت عودته ومواجهته للإنجليز مكسبًا جديدًا للثورة، وأعلنت اللجنة العربية العليا ثلاثة مطالب محددة كشرطٍ لوقف الثورة والإضراب، وهي:

١ـ إيقاف ومنع الهجرة اليهودية منعًا باتًا.

٢ـ منع انتقال الأراضي العربية لليهود.

٣ـ إنشاء حكومة وطنية أمام مجلس نيابي منتخب.

استمرّت الثورة وأعمال المقاومة في جميع أنحاء فلسطين، واستخدمت بريطانيا كلّ وسائل القمع والإرهاب والقتل، ولم تستطع إيقافها.

لجأتْ بريطانيا إلى الحكومات العربية، وكانوا أصدقاءها فاجتمعوا وأصدروا بيانًا لوقْفِ العنف والجلوس إلى مائدة المفاوضات، وكان ذلك في ٨/ ١٠/ ١٩٣٦م. وللأسَف الشديد، استجابت اللّجنة العربية العليا لذلك، وأمرت المجاهدين بوقف القتال في ١٢/ ١٠/ ١٩٣٦م، وجلسوا للمفاوضات مع بريطانيا والصهاينة،

وبدأت مرحلةٌ جديدة ومريرة عرفت بمرحلة مشاريع التقسيم (فما أشبه اليوم بالبارحة).

ضدّ مشروع التّقسيم الأول:

في ٧ يوليو ١٩٣٧، نشرت الحكومة البريطانية أولَ مشروع لتقسيم فلسطين بين الفلسطينيين والمحتلين الصهاينة.

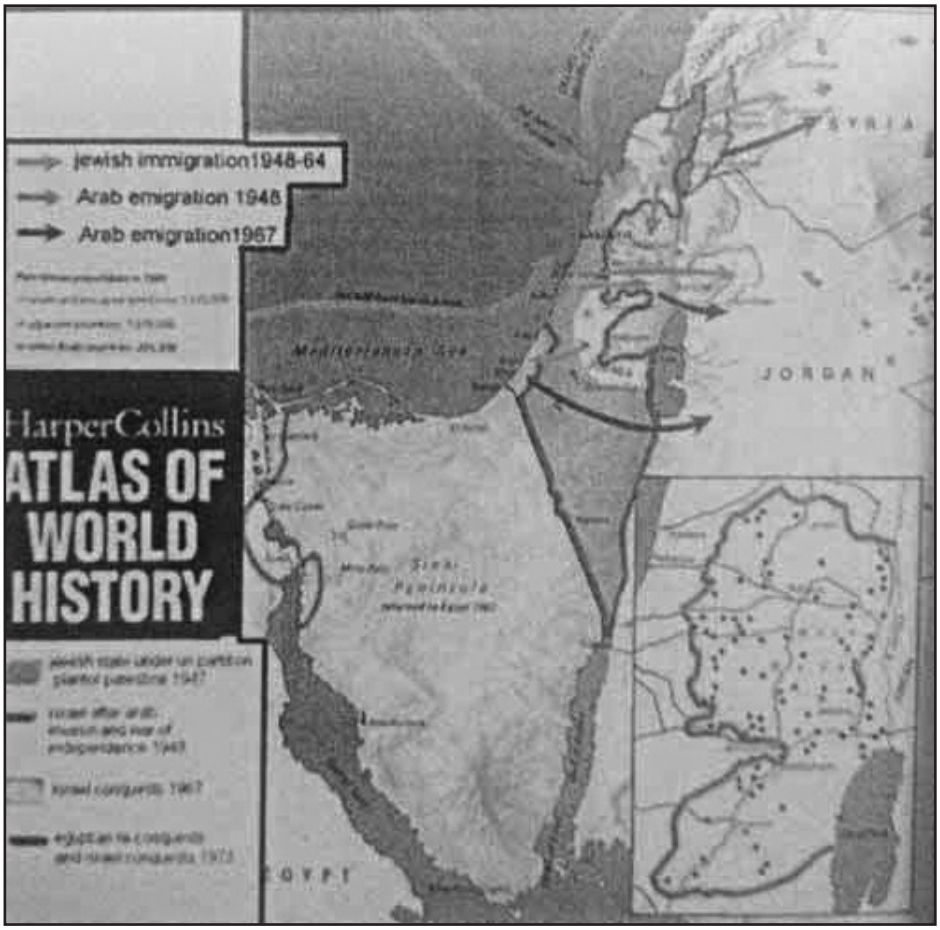

الأطلسُ الأمريكي يعترف بأنّ فلسطين احتُلّت بالقوة

وحاولت بريطانيا أن تفرض مشروعَها بقوة الاحتلال والقهر، ذلك المشروع الذي يهدفُ إلى تحويل حلم الصهاينة إلى حقيقة، وتكريس سياسة الظلم والانتهاب بقوة المدافع والإرهاب.

انتشر خبرُ مشروع التقسيم الآثم في البلاد العربية كانتشار النارِ في الهشيم، وأفاقت الأمّة على كابوس الصهيونية، فانتفضت وأظهرت غضبها، وتعالت أصواتها منادية بالجهاد من أجل تحرير فلسطين، وسارع القادةُ العرب لامتصاص غضب الأمة، وكالعادة نادوا بعقد مؤتمرٍ كبير، وانعقد المؤتمر الكبير في بلودان بسوريا في ٨/ ٩/ ١٩٣٧، وانتهى إلى قرارات (كالعادة) حاسمة وقوية، ولكنْ مَن سينفّذها؟

القراراتُ العربية:

١ـ فلسطين جزءٌ لا يتجزأ من الوطن العربي.

٢ـ رفض ومقاومة التقسيم.

٣ـ الإصرارُ على إلغاء الانتداب البريطاني ووعد بلفور.

٤ـ وقفُ الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٥ـ إصدارُ تشريعٍ يمنع انتقال الأرض إلى اليهود.

وأمعنتْ بريطانيا في سياسة القمع والاعتداء، واعتقلت الآلافَ من الشعب الفلسطيني وقادته، وباتتْ فلسطين مثخنةً بالجراح، غارقة في بحرٍ من الدماء

والدموع، ملفوفةً بثياب من الحزن. لقد بلغت المؤامرة ذروتها، واجتمع كيد الأعداء، وخيانة الحكام، وضعف الشعوب العربية والإسلامية مع أطماع الصهيونية وقسوتها لتكون فلسطين- أرضًا وشعبًا- هي الضحيةَ والذبيح.

استشهادُ فرحان السّعدي:

ولّما اشتدت رياحُ الثورة أعلنت لها قائدًا جديدًا خلفًا لعزّ الدين القسام، وهو الشيخ فرحان السعدي.

وكان ردّ الفعل الفلسطيني الأول قيامَ جماعة القسام باغتيال الإنجليزي المعيَّن حاكمًا لمنطقة الجليل والمدعو «أندروز»، وكان من المتاجرين في الأرض الذين ولغوا في دماء الفلسطينيين كثيرًا.

سارعت بريطانيا باعتقال السعدي، وقدّمته للمحاكمة بتهمة اغتيال «أندروز» وحكمتْ عليه محكمةٌ عسكرية بالإعدام خلال ساعات، ونُفّذ حكم الإعدام بالفعل في الشهيد البطل فرحان السعدي في ٢٢/ ١١/ ١٩٣٧. وكان السعدي في الثمانين من عمره، وفي رمضان، فلقي ربه وهو صائم.

عبد القادر الحسيني يواصلُ القتال:

في صباح يوم ٢/ ١١/ ١٩٣٧، اليوم المحدّد كساعة الصفر لاستئناف القتال بقرارٍ من (لجنة الجهاد المركزية) انقضّ قائد المقاتلين عبد القادر الحسيني على معسكراتِ الإنجليز في القدس وحولها. وعلى التوازي، قامت مجموعاتٌ من المناضلين بالهجوم على تجمّعات الإنجليز والصهاينة في كلّ فلسطين، وفي اليوم الذي يواكب ذكرى وعد بلفور انقلبت فلسطين كلُّها إلى أتون حربٍ جهادية.

واستمرّت المقاومة على هذا النحو حتى عام ١٩٣٩، وبلغت العمليات من (٥٠٦) عام ١٩٣٧، إلى (٥٧٠٨) عام ١٩٣٨ وإلى (٣٢١٥) عام ١٩٣٩م.

وقدّرت خسائر البريطانيين بأكثر من ١٠ آلاف قتيل غير الجرحى، ومن اليهود ١٠ آلاف قتيل غير الجرحى، كما قدر عددُ الشهداء الفلسطينيين بـ ١٢ ألفًا، والذين حُكم عليهم بالإعدام شنقًا (١٤٦)، والمنازل التي نُسفت خمسة آلاف مترل.

كما قامت القواتُ البريطانية بإقامة سورٍ من الأسلاك الشائكة حول كلّ فلسطين من ناحية سوريا ولبنان لمنع تسلل أي مساعدات للمجاهدين.

بريطانيا تتراجعُ عن مشروع التقسيم:

وحاولت بريطانيا إخمادَ الثورة، فأعلنت بعدَ دراسة فنيّة مستفيضة استحالة تنفيذ مشروع التقسيم الذي أعلنته، ثمّ دعتِ الجميعَ للجلوس إلى مائدة المفاوضات.

الوفودُ العربية في المؤتمر في لندن:

خضعت بريطانيا لقوّة الثورة، وقبلت وفدًا عنها يمثّل فلسطين برئاسة المفتي العام أمين الحسيني، ولكنّه أرسل نائبًا عنه الأستاذ/ جمال الحسيني، وأرسلت مصر وفدَها برئاسة عبد الرحمن عزام، وكذلك مثّلت وفود كلّ مِن العراق والسعودية والأردن واليمن.

وأصرّت الوفود العربية على شروط لجنة الجهاد المركزية الخمسة السابقة كحدٍّ أدنى للتفاوض، ولم تستطعْ بريطانيا زحزحتهم عن ذلك، ففشلَ المؤتمر وعادت الوفود إلى بلادها.

الحربُ العالمية الثانية وفلسطين:

عندما شبّت الحربُ العالمية الثانية، شُغلت بريطانيا بمواجهة النازية، واستغل اليهود الفرصة، فأعلنوا مساعدتهم لبريطانيا، ولكنّهم طالبوها بأن تطلقَ يدُهم كاملة في فلسطين، فلمّا رفضت مطلبهم انقلبوا عليها، وهاجموا معسكراتها الضعيفة في فلسطين، ثمّ أعلنوا انحيازَهم للقوة الجديدة الصاعدة وهي أمريكا، وبالفعل انحازت لهم القيادةُ الأمريكية، وأعلنت ما يؤيدهم في إنشاء وطنٍ لهم في فلسطين على لسان روزفلت في ١٦/ ٣/ ١٩٤٤.

وسعتْ أمريكا بقيادة روزفلت عند الملك عبد العزيز – عاهل السعودية– ليقوم بدور الوسيط بين العرب في فلسطين والصهاينة على أساس إقناع العرب جميعًا بالهجرة مقابلَ تعويضات سخيّة ويتركوها أرضًا خالصة للصهاينة، ولكنّ الملك عبد العزيز رفضَ هذا المشروع، وأعلن استحالة تنفيذه.

وأمّا المفتي الحاج أمين الحسيني فكان هاربًا في لبنان التي تخضع للسيادة الفرنسية، ولمّا أحسّ بأن فرنسا سوف تقبض عليه، وتسلّمه للإنجليز؛ هربَ مع رفاقه إلى بغداد التي كان بها حكومة وطنية يقودها رشيد عالي الكيلاني.

وقرّرت بريطانيا شنّ الحرب على العراق لرفضها تسليم المفتي، وبالفعل حاربت بريطانيا العراق، وغيرت حكومتها بالقوة وجاءت بحكومة جديدة.

بدأت الحكومةُ العراقية الموالية للإنجليز تبحثُ عن المفتي ورفاقه للقبض عليهم ونجحتْ في القبض على القائد/ عبد القادر الحسيني؛ فاعتقلته وأرسلته إلى فلسطين ليواجه محاكمةً عسكرية بريطانية، وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

وأمّا المفتي أمين الحسيني فقد فرّ إلى إيران ثمّ إلى السفارة اليابانية ثمّ إيطاليا، وحصل على تأييد موسوليني، ثمّ إلى ألمانيا وقابل هتلر وحصل على تأييده، ثمّ إلى فرنسا كلاجئ سياسي، ثمّ تمكّن من الهرب إلى مصر في ٢٩/ ٥/ ١٩٤٦، وحاول دخول فلسطين مرارًا، وبعد عدّة محاولات نجحَ في الوصول إلى غزة حيث انعقد المجلسُ الوطني الفلسطيني، وقرّر استئنافَ الجهاد في مواجهة البريطانيين والصهاينة، وكان ذلك في عام ١٩٤٧ على مشارف الحربِ الوحيدة التي دخلتها الجيوش العربية لتحرير فلسطين.

الهيئةُ العربية العليا تقاومُ التقسيم:

أصدرتِ الهيئة بيانَها في ١/ ٩/ ١٩٤٧، رفضت فيه كلّ المقترحات الأمريكية أو الأوروبية بشأن التّقسيم بين العرب وبين اليهود والمناطق الدولية جملة وتفصيلًا.

المفتى يقاومُ دخولَ الجيوش العربية:

في ١٦/ ٩/ ١٩٤٧، عقدت الجامعة العربية اجتماعًا لها في صوفر، وقررت مقاومة التقسيم والعملَ على حماية الفلسطينيّين، ولو أدّى ذلك إلى دخول الجيوش العربية لحمايتهم، وشكّلت لجنة لدراسة الواقع على الأرض، وكان تقرير اللجنة واضحًا بأن هناك ضرورةً للحماية العسكرية للمواطنين الفلسطينيّين من العصابات الصهيونية التي أحصوها من ٥٠: ٧٠ ألف مسلح صهيوني مدَرّب.

ولكنّ المفتي كان يرى في دخول الجيوش العربية ومعظمها في هذا الوقت تحت قيادة الإنجليز؛ خطرًا على القضية الفلسطينية، ويعزل الأرض عن أهلها، وقدّم مشروعًا للجامعة مكونًا من بنْدين هُما:

١ـ تأليف حكومةٍ عربية في فلسطين على الفور.

٢ـ تسليح الفلسطينيّين ومساعدتهم بالمال والسلاح، وعدم دخول الجيوش العربية النظامية إلى الفلسطينيّين.

الفلسطينيون يقاومونَ قرارَ التقسيم الأمريكي رقم (١٨١):

حشدت أمريكا كلّ قوتها وجبروتها النامي لإنجاح التصويت على قرار تقسيم صادرٍ من الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونجحت بالفعل في مسعاها الإجرامي الظالم، وصدر القرارُ بموافقة ٣٣ دولة منها أمريكا وروسيا، وعارضته ١٣ دولة منها الدول العربية الستّ، وأربع دول إسلامية هي (أفغانستان وإيران وتركيا وباكستان) وثلاث دول أخرى هي (الهند واليونان وكوبا) وامتنعت عشرُ دول عن التصويت ليكون مجموع الدول الحاضرة ٥٦ دولة.

وما إنْ أُعلن عن صدور هذا القرار الظالم؛ حتى هبّ الشعب الفلسطيني يقاتل بكلّ ما في يديه في حربٍ تصلُ اللّيلَ بالنهار، وسطّر الفلسطينيون بأسلحتهم البدائية وعتادهم القليلِ أسمى آياتِ البطولة والجهاد في معارك جهادية سوف تبقى علماً على أصالة الشعب العربي الفلسطيني وصدق إيمانه، وكان ذلك في مواقع: ظهر الحجة، وكفر كنا، وعين باهل، والماصيون، ومعركة الدهيشة. وأمامَ هذه الثورة أعلنت بريطانيا أنها سوف تلغي انتدابَها، وتنسحب عن فلسطين في ١٥ من مايو ١٩٤٨م، كما أعلن الرئيس الأمريكي ترومان أنه سوف يتقدّم بمشروع للأمم المتحدة يلغي فيه مشروع التقسيم، ولكنّ اليهود رفضوا هذا التوجّه، وطالبوا الغرب أنْ يعطيهم فرصةً للدفاع عن الأرض التي اغتصبوها في فلسطين، وبالفعل استجابت لهم أوروبا وأمريكا، وتراجعت كلّ الدول عن قراراتها ووعودها.

وفي الجانب الفلسطيني، تعالت الأصواتُ تطلب المعاونة من العرب والمسلمين، ولكنّ المددَ لم يصل، والعون لم يتحقق، حتى إن الأسلحة التي اشتراها المواطنون بأموالهم عطّلتها اللجنة العربية المشكلة لذلك، ولم تسلّمها للقائد عبد القادر الحسيني عندما حضر ليتسلّمها، وعاد كسيرًا من حيث أتى.

الفلسطينيون والصهاينةُ في المواجهة:

في هذه اللحظة التاريخية الحرجة، انكشفت القوة العربية والإسلامية في مواجهة قوى الاحتلال البريطانية الأمريكية الصهيونية، والتفتَ الفلسطينيون حولهم فلم يجدوا مِن القوة إلّا:

قوات الجهاد المقدس:

وهي القواتُ التابعة للمفتي أمين الحسيني، وكانت بقيادة البطل عبد القادر الحسيني، وكانت قليلةَ العدد، ضعيفةَ التسليح، ولولا شخصية قائدها ما ذكرها أحد.

جيشُ الإنقاذ:

شكّلته جامعة الدول العربية، وكان قوامه (٧٧٠٠) متطوعًا، منهم ٢٥٠٠ من داخل فلسطين والباقي من الدول العربية، وقد نالوا قسطًا من التدريب في معسكر قطنا بسوريا، وكان قائدُه الضابط فوزي القلوقجى، وحسب تقريره هو للجامعة العربية فإنّ المتطوعين كان معظمُهم غير متدربين وأسلحتهم رديئة. وفي أول خطبة له في مقرّ القيادة في بلدة تسمّى جبع على سفوح جبل حوريس بين نابلس وجنين، قال:

«جئنا إليكم بقلبٍ واحد وهدفٍ واحد هو إلغاء قرار التقسيم وتدمير الصهيونية وافتداء عروبة فلسطين».

وعلى الصعيد السياسي، فإنّ جيش الإنقاذ كان مرفوضًا كما قدمنا من المفتي الحاج/ أمين الحسيني وضدّ خطته في التحرير، وأيّدته في ذلك مصر، بينما كانت الأردن والملك عبد الله على رأسها من المشجّعين على دخول الجيوش العربية، وإضعاف دور القيادة الفلسطينية ليتمّ له الاستيلاء على الضفة الغربية حسب اتفاقِه مع الصهاينة منذ عام ١٩١٧ كما قدمنا.

وعلى الناحية الأخرى، كانت الجيوشُ اليهودية تنتظم في منظماتٍ ثلاث:

١ـ الهاجانا:

وهي القوة الحربية الرئيسة الرسمية، وتضمّ ٦٢ ألفًا من الجنود المدربين والمزوّدين بأحدث الأسلحة. ولها ثلاثةُ أقسام هي:

ـ سكان المدن والمستعمرات، وعددهم ٤٠ ألف مسلح.

ـ شرطة المستعمرات (هنوطروت).

ـ البالماخ أو فرقة الصاعقة.

والهاجانا ليست مجرد تنظيم عسكرى، بل هي حركة شعبية عقائدية يهودية، قامت أساسًا لتربية الشبان اليهود (فتيانًا وفتيات) وإعدادهم من أجل النضال والاستقلال، أوْ كما قال قائد الهاجانا (يسرائيل غاليلى): هدفنا هو استخلاص كلّ القوة الكامنة في الييشوف (أي الشعب اليهودي) لتحقيق هدفنا في الدفاع عن الحياة والممتلكات والشرف اليهودي.

ولقد عمّقت الهاجانا جذورَ المهاجرين في اليهودية، وصبغتهم بتعاليم التوراة، وفرضت عليهم تعلّم العبرية.. وقد عبّر بن غوريون عن ذلك فقال: "إن التّوراة هي صكّ وجودنا، ولقد تحولت الهاجانا مع الزمن إلى مؤسسة جيش الدفاع الإسرائيلي».

٢ـ عصابة شتيرن: وتضمّ حوالي ٣٠٠ مسلحًا.

٣ـ عصابة الأرغون زفاى ليومى: وتضمّ حوالي ٦٠٠٠ مسلحًا.

٤ـ قوةُ الشرطة اليهودية: وعددها حوالي ١٠٠٠ مسلحًا.

وبعبارة أخرى، فإنّ مجموع المحاربين اليهود كان لا يقل عن (٧٠ ألف مقاتل).

ترتبطُ هذه الملحمة الجهادية باسم القائد العربي البطل عبد القادر الحسيني؛ لأنه استشهدَ فيها، وكانت بابَه إلى الجنة.

وعبد القادر الحسيني هو ابنُ المناضل المجاهد القديم سيدنا موسى كاظم الحسيني- رحمة الله عليه- الذي استُشهد في الميدان وهو يقاوم الإنجليز من قبل الصّهاينة.

وعبد القادر خليفةُ أبيه كان خريجَ الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي يوم تخرجه كانت نوايا أمريكا نحو فلسطين قد اتّضحت وانكشفت سوءتها، فقام أمام الحاضرين في حفل التخرج بتسلم الشهادة ثمّ مزّقها بعنف، وهو يقول: «إنه لا يشرّفني اليوم أنْ أحمل شهادةً من الجامعة التي تنتمي إلى الدولة التي تآمرت على وطني فلسطين»، ثمّ كانت سيرته سيرةَ الأبطال حتى نال الشهادة.

والقسطل قريةٌ فلسطينية على مقربةٍ من القدس، حاول اليهود احتلالها لتكون ممرًّا لهم نحو القدس الجديدة التي حاصرتها قوات عبد القادر؛ لأنها كانت مستعمرةً يهودية، واستمرّ الحصار حول اليهود حتى كادوا يموتون جوعًا وعطشًا.

ونظرًا لأهمية القسطل في فكّ الحصار، فقد جرتْ معارك رهيبة لمنع اليهود من الاستيلاء عليها، ولكنهم- بالاستعانة بالطائرات والمدافع التي لا يملكها المجاهدون- استطاعوا احتلالَها بالفعل والتحصّن بها، وأصبحت مهمّة تحريرها أصعبَ من الدفاع عنها، وأشرفت ذخيرة المجاهدين على النفاذ؛ فتوجّه عبد القادر الحسيني إلى اللّجنة العسكرية العربية لطلب المعونة، فلم يستطع الحصول عليها، ثمّ عادَ إلى المجاهدين وأخبرهم بذلك وحثّهم على الصمود والجهاد حتى الشهادة، وكان له ذلك في أبريل عام ١٩٤٨.

المدنُ العربية تتساقطُ في أيدي الصهاينة:

حدثَ ذلك الانهيار نتيجة لقلّة المعونة وضعف التسليح والخذلان العربي والإسلامي لإخوانهم في فلسطين.

ولم يكنْ أمام الباقي من الشعب الفلسطيني إلّا الفرار أمام إجرام الغزاة وبربريّتهم حيث ترك النساء والعجائز بيوتَهم وأرضهم، وحاولوا النجاة بحياتهم، وعلى أكتافهم ما استطاعوا من الحُطام.

وكانت القواتُ الصهيونية تلاحقُهم بالقتل والتمثيل بالجثث والإرهاب والاغتصاب أيْنما أدركتهم. حدثَ ذلك في دير ياسين وعددٍ كبير من المدن العربية. ومع ذلك، فإنّ عددَ المدن التي صمدت ولم تهاجرْ كان هو الغالب، ولم يتجاوز عددُ المهاجرين ٢٠٠ ألف مهاجر.

الحربُ الرسميّة عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩:

رغم معارضة الشيخ أمين الحسيني– القائد الفلسطيني– ومعارضة الغالبية من الشعب الفلسطيني لتدخّل الجيوش العربية، فقد فرضت جامعة الدول العربية هذا التدخّل، واتّخذت قراره في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨، وهو التاريخ الذي أعلنت فيه الصهيونية قيام دولتها على أنقاض الانتداب البريطاني. هنا كلام مفقود

كانت خطة الجيوش العربية أن تلتقي الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والأردنية (الجبهة الشمالية) في بلدة العفولة في قلب فلسطين، ثمّ يبدأ زحفها نحو الساحل من هناك لتشقّ صفوف الصهاينة، وتمنع اتصالهم ببعض، وفي نفس الوقت يتقدّم الجيش المصري (الجبهة الجنوبية) نحو عسقلان والمجدل.

حدث هذا في العلن، أمّا في السرّ والخفاء فقد كان ملك الأردن الأمير عبد الله ورئيس وزرائه المدعو توفيق أبو الهدى يتّفقان مع الصهاينة على أن تكون الضفة الغربية للأردن، وللصهاينة باقي فلسطين.

ومع كلّ هذه الخيانات وضعف التسليح وقلة المقاتلين، فقد كان الموقف العربي– بفضل حماسة الجنود والمتطوعين– موقفًا حسنًا ومبشرًا بالنصر، وحقّقت القوات العربية تقدمًا على كلّ الجبهات، وكادت تحاصر تل أبيب معقل الصهيونية وعاصمتها المعلنة.

الهدنةُ الأولى:

أو سمّها الخيانة الأولى في الحرب، فقد أسرعتْ أمريكا وبريطانيا لحماية اليهود، وطلبتا من الجامعة العربية ضرورةَ إعلان الهدنة والتفاوض، وسارعت الدولتان

بعرضِ ذلك على مجلس الأمن، وأخذ مجلس الأمن قرارًا بالهدنة، وأصبحت الجامعةُ العربية بين أمريْن: النصر أو قبول الهدنة، وللعجب أنها قبلت الهدنة وأجهضت النصر الذي لاح فجره.

لقد كان قرارُ الهدنة الأولى صفحةً سوداء في سجل جامعة الدول العربية سطرتها في عمان في ١/ ٦/ ١٩٤٨، أي بعد حوالي أقلّ من شهر من القتال.

وفي أثناء الهدنة، تدفّقت المعونات على اليهود، والعرب يتفرّجون على مندوب الأمم المتحدة برنادوت، ويشرحون له أمانيهم في السلام، وعندما استعاد اليهود قوّتهم قتلوا برنادوت، ورفضوا كلّ قرارات لجنته، وبدءوا هجومًا جديدًا بسلاح جديد.

القتالُ الثاني:

في ٩ من يوليو ١٩٤٨، بدأ اليهود الحربَ الثانية بطائرات أغارت على القاهرة ودمشق وعمان، وكان تطورًا في المعركة أدى إلى انسحاب معظم الجيوش العربية من مواقعها والتوجّه لحماية بلدانها.

الهدنةُ الثانية:

أمامَ هذه الظروف، قرّر مجلس الأمن في ١٥ من يوليو ١٩٤٨ قرارًا آخر بالهدنة استجابَ له الجميع من الحكومات واليهود، وكما حدث في الهدنة الأولى استخدمتِ الصهيونيةُ الهدنة الثانية للتوسّع والتسلح، وسقطت في أيديهم معظمُ أجزاء فلسطين في الشمال، وكلّ منطقة بئر سبع والنّقب في الجنوب.

مجلسُ الأمن ومباحثات رودس:

لم يبقَ في جريمة انتهاب فلسطين إلّا توقيع الأنظمة على قبولها لتكون- من وجهة نظر صانعيها- قانونية.

فقد أصدرَ مجلس الأمن في ١٦/ ١١/ ١٩٤٨ قرارًا يطالب الفريقين الصهيوني والعربي أن يتفاوضا لإقرار الهدنة.

وكما توقّع المفتى الحاج أمين الحسيني من قبل، فقد جلس يتفاوض على تقسيم فلسطين طرفان لا يمتلكان أيّ جزءٍ من فلسطين، اليهود من ناحية والجيوش العربية من ناحية أخرى، وغاب شعب فلسطين، وغابت قيادته.

وافقَ العرب على القرار، وعقدت مباحثاتٌ منفردة بين إسرائيل وبين الدول العربية، كلّ على حدة بإشراف الدكتور بنش- ممثل الأمم المتحدة- وقد حلّ مكان برناردوت، كانت محصّلتها عقد هدنة سمّيت: (بالهدنة الدائمة).

* في ٢٤/ ٢/ ١٩٤٩م مع مصر، وقد جرت المباحثات في رودس.
* في ٢٣/ ٣/ ١٩٤٩م مع لبنان، وقد جرت في رأس النافورة الحدودية.
* في ٤/ ٤/ ١٩٤٩م مع الأردن، وقد جرت في جزيرة رودس.

وأثناء المفاوضات، قام اليهود باحتلال الشقة الساحلية من النقب على خليج العقبة، وقد أحدثوا هذا الأمر الواقع لتكون حدودهم في اتفاقية الهدنة شاملةً جميع النقب بما فيها ميناء أمّ الرشراش (إيلات).

* أمّا سوريا وهي الدولة الوحيدة التي رفضت التوقيع على اتفاقات الهدنة، فقام فيها انقلابٌ عسكري بقيادة حسني الزعيم في ١/ ٤/ ١٩٤٩م كان من أوائل

أعماله التوقيعُ على اتفاقية رودس، والتخلي عن الأرض المنزوعة السلاح في منطقة طبريا.

وبذلك اكتملت حلقاتُ المؤامرة، واعترفت معظمُ الدول بإسرائيل، وقبلت عضوًا في الأمم المتحدة.

لجنةُ التوفيق الدولية، وقرارُ التقسيم أو التعويض رقم ١٩٤:

تألّفت لجنةُ التوفيق الدولية استنادًا إلى توصية صدرتْ عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة في ١١/ ١٢/ ١٩٤٨ دعتْ إلى إعادة النازحين الفلسطينيّين الراغبين في العودة، والتعويض على مَن لا يرغب منهم بالعودة.

عقدت اللّجنة اجتماعَها الأول في جنيف ما بين السابع عشر من يناير وحتى ٢٧ من أبريل ١٩٤٩م، واجتماعها الثاني في لوزان واستمر من أبريل (نيسان) وحتى يوليو (تموز) ١٩٤٩م، حضرت هذه الاجتماعات الأطراف العربية (سوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر) وحضرته إسرائيل.. وخلال هذه الشهور الطويلة دارت مناقشاتٌ عقيمة.

ومَن يطّلع على الرسائل (الاثنتى عشرة) التي بعث بها (الياهو ساسون) رئيس الوفد الإسرائيلي إلى وزير خارجية إسرائيل (موشيه شاريت).. يصف له فيها صلاته بالوفود العربية ومباحثاته معهم، وكيف يتحدثون معه بالسّرّ بطرقٍ مغايرة لحديثهم بالعلن، وكيف أنّ رجالهم الذين يسعون على حماية مصالح الدولة اليهودية منبثّون في كلّ الدول العربية. ومَن يطّلع على هذه الرسائل يدرك المستوى المنحدر الذي وصلت إليه القياداتُ التي كانت تدير القضية الفلسطينية، وتشرف عليها.

حركةُ فتح تتحمّل المسئولية:

بدأت حقبة الخمسينيات وفلسطين تنزف دمًا، وقد جثم الاستعمار الصهيوني على صدْرها، بينما العالم العربي والإسلامي يئنّ تحت قبضة السيطرة الأمريكية والبريطانية، والقيادةُ الفلسطينية الرسمية ممثلة في الشيخ أمين الحسيني المفتي هاربةٌ خارج فلسطين، ووسط هذه الظروف المظلمة وحالة اليأس المسيطرة على كلّ فلسطين؛ بدأ شبابُ فلسطين غضّ القلب في التفكير الجريء في استئناف العمل النضالي بأيادٍ فلسطينية، وكان على رأس هؤلاء:

١ـ سليم الزعنون.

٢ـ خليل الوزير.

٣ـ صلاح خلف.

وتوجّه هؤلاء إلى شيوخ جماعة الإخوان في غزة بوصفهم قادتهم ليعرضوا تصوّرهم حول إنشاء حركَة تحرير فلسطين، ولكنّ شيوخَ الإخوان في غزة لم يشجّعوا هذه الفكرة في تلك الظروف، فتوجّه هؤلاء إلى القاهرة، وشرعوا في جمع الشباب الفلسطيني حول فكرتهم. في القاهرة، استطاع ياسر عرفات طالبٌ في كلية الهندسة، وصلاح خلف طالبٌ كلية الآداب السيطرةَ على اتحاد طلبة فلسطين في الانتخابات التي جرت عام ١٩٥٢.

ومثل ما كان في القاهرة، فإنّ شبابًا فلسطينيًّا كان يعدّ للتحرير، كلّ في موقعه الذي كان فيه، وظلّ هذا الإعداد طيلة فترة الخمسينيات حتى جاءت الستينيات فوجدتْ جماعات من الفلسطينيّين قد نضجت فكرتهم، وقويت عزيمتهم، وتأهّبوا لمقاتلة اليهود الصهاينة في جولة جديدة من جولات الجهاد الفلسطيني.

جبهةٌ سياسية فلسطينيّةٌ جديدة:

في ٩/ ٣/ ١٩٦٢ شكّلت جماعةٌ من الفلسطينيين في غزة ما عُرف بالاتحاد القومي الفلسطيني، وأعلنتْ هذه الجبهة دستورًا مؤقتًا لفلسطين، وجاء في البابِ الأول: أنّ قطاع غزة جزءٌ من فلسطين، وهدف الاتحاد هو استرجاع الأرض المغتصبة.

وفي ١٩/ ٩/ ١٩٦٣ أقرّ مجلس جامعة الدول العربية هذه الإجراءات، وأضاف مجلسُ الجامعة:

١ـ وضع خطةٍ عربية لتحرير فلسطين.

٢ـ تعيين أحمد الشقيري ممثلًا لفلسطين في مجلس الجامعة خلفًا للمرحوم أحمد حلمى عبد الباقى ممثّل (حكومة عموم فلسطين) التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني.

وفي ١٥ من مايو ١٩٦٤م، اجتمع المؤتمر الفلسطيني الأول، وأيّد هذه الخطوات وأقرّ المجتمعون:

١ـ الميثاق الوطني الفلسطيني.

٢ـ النظام الأساس لمنظمة التحرير الفلسطينية.

٣ـ تشكيل كتائب فلسطينية نظامية وأخرى فدائية.

٤ـ العمل على طرد إسرائيل من المحافل الدولية.

فتحُ تستأنِفُ الجهادَ المسلّح:

في ٣١/ ١٢/ ١٩٦٤، وفي مكان ما من الكويت، قرّرت فتحُ البدءَ بعملياتها العسكرية على أن تنسب العمليات في البداية إلى منظمة العاصفة (وهو اسم وهمي).

وفي ١/ ١/ ١٩٦٥، صدر البيان الأول لحركة تحرير فلسطين (فتح)، وتوالت عمليات فتح العسكرية داخل فلسطين، وأرسلت كذلك مذكرة في سبتمبر ١٩٦٥ إلى جامعة الدول العربية تطلب من الدول العربية أن تترك الحركة للفدائيين عبْر حدودها مع فلسطين، وتحسين معاملتهم في البلدان العربية، وعدم التعرّض لنشاطاتهم الفدائية.

البيانُ الأوّل لفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

بلاغ عسكري رقم (١)

اتّكالًا منّا على الله، وإيمانًا منّا بحقّ شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب، وإيمانًا منّا بواجب الجهاد المقدس، وإيمانًا منّا بموقف العرب الثائر من المحيط إلى الخليج، وإيمانًا منّا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم؛ لذلك فقد تحرّكت أجنحةٌ من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٣١/ ١٢/ ١٩٦٤م، وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة، وعادت جميعُها إلى معسكراتها سالمة،

وإننا لنحذّر العدو من القيام بأية إجراءات ضدّ المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا؛ لأنّ قواتنا سترّد الاعتداء باعتداءات مماثلة، وسنعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب، كما وإننا نحذّر جميع الدّول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان؛ لأن قواتنا سترّد على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار أينما كانت.

عاشتْ وحدة شعبنا، وعاش نضالُه لاستعادة كرامته ووطنه.

القيادة العامة لقوات العاصفة. ١/ ١/ ١٩٦٥.

المواجهاتُ المباشرة بين فتح والصهاينة:

معركةُ الكرامة:

وقعتْ بين الفدائيين من فتح- وعددُهم ٣٠٠ فدائيًّا- والجيش الصهيوني وتعداده ١٥ ألفًا مسلحين بأرتالِ المدرعات والطائرات الهليوكوبتر، وكذلك في بلدة الكرامة بالأردن على الحدود مع فلسطين في ٢١/ ٣/ ١٩٦٨ وانتصر فيها العمل الفدائي انتصارًا تاريخيًّا حيث هزمت القلّة المجاهدة الكثرةَ الكافرة المعاندة، وأجبرتْها على الانسحاب، وترتّب على هذا الانتصار الساحق لفتح اعترافُ الجميع بأحقّيّتها في تمثيل الشعب الفلسطيني.

كما اعترف الجميعُ على المستوى الشعبي والرسمي بأنّ العمل الفدائي هو الطريق الصحيح لتحرير فلسطين.

وفي يوليو ١٩٦٧م، انعقد المجلس الفلسطيني، واختار ياسر عرفات رئيسًا للمنظمة، ومعه مِن فتح خالد الحسن رئيسًا للدائرة السياسية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، وكذلك فاروق القدومي ومحمد يوسف النجار ليكونا بين الأعضاء الخمسة عشر في اللجنة التنفيذية.

أيلولُ الأسود:

كانت مواجهة بين العمل الفدائي المتواجد بالأردن وبين الملك حسين نتيجة لمحاولة بعض المنظمات الفلسطينية (الجبهة الشعبية، والجبهة الشعبية الديمقراطية والصاعقة وجبهة التحرير العربية) الإطاحةَ بالملك حسين ومباشرة ذلك بالفعل، وتدخلت إسرائيل ضدّ العمل الفدائي بترتيب أمريكي، وتدخّلت سوريا لمناصرة العمل الفدائي، ثمّ انسحبت.

وكانت النتيجة أكثرَ من ٣٠٠٠ قتيلًا فلسطينيًّا، مدنيًّا وعسكريًّا، وتشرذم العملُ الفدائى في عدّة بلدان خارج الأردن.

جريمةُ الفردان:

في أبريل ١٩٧٣، نزلت قواتٌ خاصّة سريّة إلى ضاحية الفردان بالقرب من بيروت، وقتلت مِن قادة فتح:

١ـ كمال عدوان. ٢ـ محمد يوسف النجار.

٣ـ كمال ناصر (الناطق الرسمي باسْم فتح).

الحربُ الأهليّة اللبنانية:

تمامًا كما حدث في الأردن، فإنّ بعض المنظمات الفلسطينية وجدَ في نفسه القوة ليتدخّل في بعض شئون لبنان الداخلية الحساسة بين المسلمين والمسيحيّين، وعلى أثر

مقتل بشير الجميل- رئيس حزب الكتائب المسيحي- اتُّهمت القوات الفلسطينية بالجريمة، واشتعلت نار الحرب الأهلية بين الجميع في لبنان.

وتشكّلت الجبهاتُ على النحو التالي:

١ـ انضمت القوات الفلسطينية إلى قوات جنبلاط (وطني درزي).

٢ـ تكوَّن جيش لبنان العربي بقيادة أحمد الخطيب منشقًا عن الجيش اللبناني.

٣ـ انضمّت سوريا إلى الموارنة الذين شكلوا جيش الكتائب فيما بعد، وتدخّلت سوريا بقوات كبيرة سيطرت على الموقف، وصار لها السيادة على الأرض اللبنانية.

وتعمّق الصراع على الأرض اللبنانية حتى أنهكت كلّ القوى في مواجهة العدوّ المشترك. وفي ٦ من يونيو ١٩٨٢، قام الجيش الإسرائيلي باجتياح لبنان، وتعاون معه جيشُ الكتائب المسيحي، وحوصرت جميعُ المعسكرات والتّجمعات الفلسطينية، وتمّت في غضون ذلك جريمة صابرا وشاتيلا، وانتهى الأمر بقبول الفلسطينيين للهدنة والانسحاب من لبنان تحت إشراف القوات الدولية ليتشرذموا مرةً أخرى في عددٍ من البلدان العربية. توجّه ياسر عرفات وعددٌ مِن رفاقه إلى تونس، واستأنف عمله من هناك، ولكن بتوجّهات جديدة.

نتائجُ الصّراعات الدامية:

أيقنت منظمةُ فتح أنها لنْ تحقق نصرًا للقضية الفلسطينية من خارج فلسطين، ولن تسمحَ لها الدول العربية بحرية الحركة التي تمكنها من ذلك، ومِن هنا بدأت

جبهةٌ في المنظمة تنادي بمبدأ «دولة على أي جزء من الأرض»، ومقابل هذا التنازل الجذري والتحوّل التاريخي السلبي في مسيرة فتح فقد تبنَّتها الدول العربية بالكامل، وأصبحت عضوًا بصفة مراقبٍ في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

الخلافُ مع فتح وبروزُ الحلّ الإسلامي:

كان تنازلُ فتح عن مبدأ تحرير كلّ فلسطين من النهر إلى البحر وقبولُها بالحلّ الآخر وهو قبولُ تقسيم فلسطين بين المحتل الصهيوني وأصحاب الأرض؛ كان هذا التحوّل بمثابة الشّرارة التي أوقدت نارَ الثورة في نفوس الشباب المتديّن الذي اعتنق مبدأ الجهاد حتى النصر أو الشهادة، ومنذ تبنّت فتح داخلَ منظمة التحرير فكرةَ التعايش مع الكيان الصهيوني على أي جزءٍ من الأرض المحرّرة؛ تحوّلت منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات إلى الشكل الحكومي العربي، وسلكتْ طريق الحلول التفاوضة، وتساوتْ مع كلّ الأنظمة العربية من حيث الشكل والمضمون، وبذلك سوف نتوقّف عند هذا التحوّل عن الحديث عن منظمة التحرير بوصفها حركةً شعبية إلى التحدّث عنها ضمنَ فعاليات الحكومات العربية ونشاطها التفاوضي في مؤتمرات أوسلو ومدريد.

في هذه اللحظة التاريخية، برزت الحركةُ الإسلامية، وأعلنت بوضوح خلافَها المبدئي مع فتح، وحملت رايةَ الجهاد في إطار الحفاظ على ثوابت القضية الفلسطينية، وفي مقدمتها حقّ الشعب الفلسطيني في كامل وطنه من النهر إلى البحر، وحتمية زوال الاحتلال الصهيوني، وخروج المحتلين من فلسطين، وكان في مقدمة هذه المنظمات الجهادُ الإسلامي وحماس.

١ـ حركةُ الجهاد الإسلامي:

بدايتها عام ١٩٨٠ من الناحية الرسمية، ويعتبر الشهيد/ فتحي الشقاقي مؤسّسُها المعلن، ومنظّرها الأول، والشقاقي يقول عن نفسه: بدأت ناصريًّا ثمّ أصبحتُ من الإخوان المسلمين، ثمّ اختلفت معهم في عام ١٩٧٥.. ثمّ أصدر كتابَه الأول بعنوان: (الخميني.. الحلّ الإسلامي والبديل).

وأكمل المسيرةَ من بعده عبد العزيز عودة، وقادة الجهاد الإسلامي من الناحية الفكرية ثلاثةٌ، هم:

١ـ حسن البنا. ٢ـ سيد قطب. ٣ـ عز الدين القسام.

كما تأثروا بكتابات الخميني ومحمد عبد السلام (الفريضة الغائبة)، وتهدف حركةُ الجهاد الإسلامي في فلسطين إلى تدمير إسرائيل، وإقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين، ووسيلة الجهاد الإسلامي هي الحرب المسلحة، وتنادي الحركةُ بفلسطين المحررة قبل فلسطين الإسلامية من الناحية المرحلية.

وعلاقةُ الجهاد مع فتح ليست مفهومة، ولكنّ المنظمة وقادتها يثقون بالجهاد الإسلامي أكثرَ مِن ثقتِهم بحماس.

منظمةُ حماس:

ولدتْ منظمة حماس مع الانتفاضة الأولى في ديسمبر ١٩٨٧، والمنظمة من أولِ يوم تعلن أنها جناحٌ من أجنحة تنظيم الإخوان المسلمين العالمي. وجاء في ميثاق المنظمة:

المادةُ الثانية:

حركةُ المقاومة الإسلامية (حماس) جناحٌ من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركةُ الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث.

المادةُ الثالثة عشرة:

تتعارضُ المبادرات وما يسمّى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحلّ القضية الفلسطينية مع عقيدة حماس «لا حلّ لقضية فلسطين إلّا بالجهاد».

المادةُ السابعة والعشرون:

منظمةُ التحرير من أقرب المقرّبين إلى حركة حماس.. فوطننا واحدٌ ومصابنا واحدٌ ومصيرنا واحدٌ وعدوّنا مشترك، وتأثرًا بالظروف فقد تبنّت المنظمة فكرةَ الدولة العلمانية، وهي مناقضة للفكرة الدينية وحلّ الأفكار وتبنّي المواقف. ومِن هنا، ومع تقديرنا لمنظمة التحرير وعدم التقليل من دورها، لا يمكننا أن نستبدلَ إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتبني الفكرة العلمانية.

ومؤسّسُ حماس هو الشيخ الجليل المجاهد أحمد ياسين، ومساعده الأول هو الشيخ الجليل محمد صيام رئيس الجامعة الإسلامية في غزة، وغيرُهم من الجنود والقادة المجاهدين، ومِن أبرز قادتها في غزة عبد العزيز الرنتيسي، ومحمود الزهار وعبد الفتاح دخان، و....، وفي الضفة الغربية جمال سليم وحسن يوسف وجمال النتشة، و....، وفي خارج فلسطين إبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم حماس، وخالد مشعل رئيس المكتب السياسي، وموسى أبو مرزوق، و....

البيانُ الأوّل لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

يا جماهيرَنا المرابطة المسلمة: أنتم اليومَ على موعد مع قدر الله (سبحانه وتعالى) النافذِ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزءٌ من هذا القدر الذي سيقتلع جذورَ كيانهم إنْ آجلًا أو عاجلًا بإذن الله تعالى.

إنّ مئات الجرحى وعشرات الشهداء الذين قدّموا أرواحهم خلال أسبوع في سبيل الله مِن أجل عزّة أمتهم وكرامتها، ومن أجل استعادة حقّنا في وطننا رفعًا لراية الله في الأرض.. لهيَ تعبيرٌ صادق عن روح التضحية والفداء التي يتمتّع بها شعبنا، والذي قضّ مضاجع الصهاينة، وزلزل كيانهم، والذي أثبت للعالم أنّ شعبًا يطلب الموتَ لا يمكن أن يموت.

لا بدّ أنْ يفهم اليهود- برغم قيودهم وسجوتهم ومعتقلاتهم، برغم المعاناة التي يعانيها شعبنا في ظل احتلالهم المجرم، برغم شلالات الدماء التي تنزف كلّ يوم، برغم الجراح؛ فإنّ شعبنا أقدرُ منهم على الصبر والثبات في وجه طغيانهم وغطرستهم حتى يعلموا أنّ سياسة العنف ستقابَل بأشدّ منها من أبنائنا وشبابنا؛ لأنّهم يعشقون جناتِ الخلد أشدّ ممّا يعشق أعداؤنا الحياة الدنيا.

لقد جاءت انتفاضةُ شعبنا المرابط في الأرض المحتلة رفضًا لكل الاحتلال وضغوطاته، رفضًا لسياسة انتزاع الأراضي، وغرس المستوطنات، رفضًا لسياسة القهر من الصهاينة. جاءت لتوقظَ ضمائر اللاهثين وراء السلام الهزيل، وراء

المؤتمرات الدولية الفارغة، وراء مصالحاتٍ جانبية خائنة على طريق كامب ديفيد، وأنْ يتيقّنوا أنّ الإسلام هو الحلّ، وهو البديل.

ألَا فليعلمَ المستوطنون المستهترون أنّ شعبنا عرفَ ويعرفُ طريقه، طريق الاستشهاد وطريق التضحية، وأنّ شعبنا جوادٌ كريم في هذا الميدان، ولن تجْديهم سياسةُ العسكريين والمستوطنين، وستتحطّم كلّ محاولاتهم لإذابة شعبنا وإبادته، برغم رصاصهم وبرغم عملائهم وبرغم مخازيهم.

وليعلموا أنّ العنف لا يولّد إلّا عنفًا، وأنّ القتل لا يورّث إلّا القتل، وصدق القائل: «وأنا الغريق فما خوفي مِن البلل».

وللصهاينة المجرمين: ارْفعوا أيديكم عن شعبنا، وعن مدننا، وعن مخيماتنا، عن قُرانا. معركتنا معكم معركةُ عقيدة ووجودٍ وحياة. وليعلم العالم أنّ اليهود يرتكبون الجرائم النازية ضدّ شعبنا، وأنهم سيشربون من نفس الكأس. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾».

حركةُ المقاومة الإسلامية

وزّع بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٨٧م

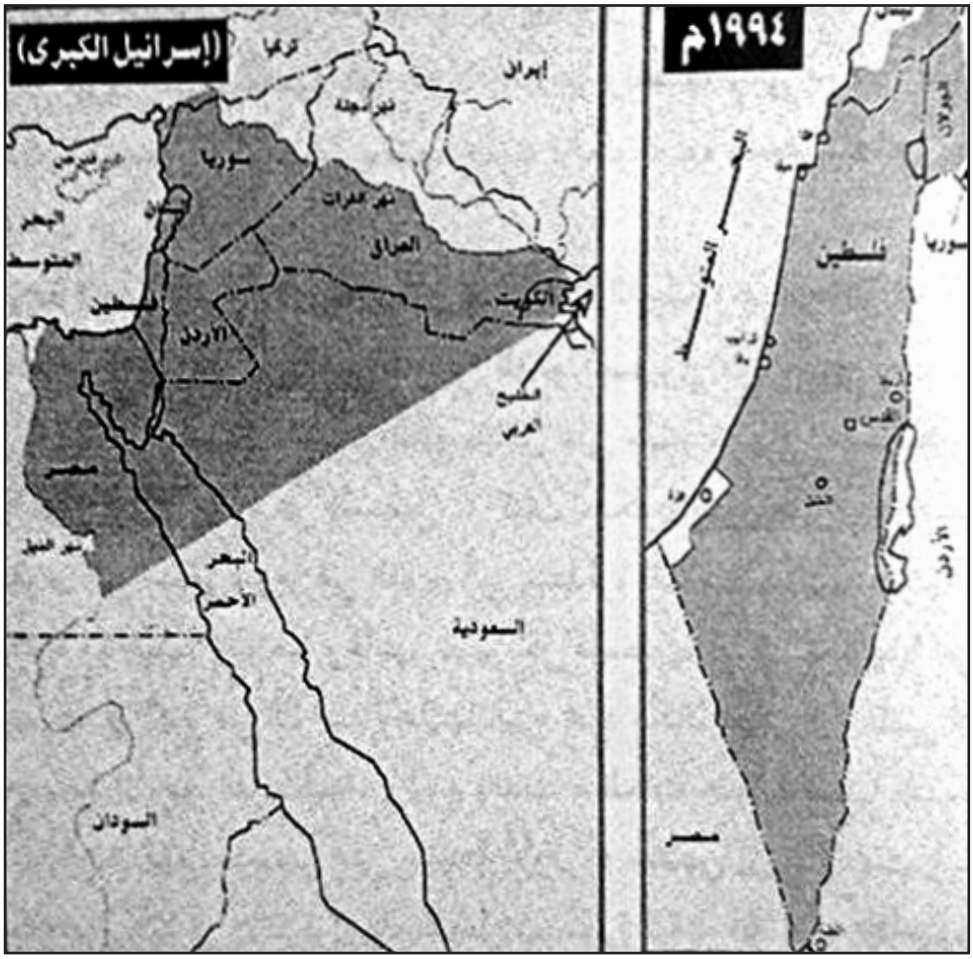

الحلمُ الصهيوني الذي حطّمته المقاومة

حاضرُ الجهادِ الفلسطيني اليوم

في يوليو عام ٢٠٠٢، كان جهادُ الشعب الفلسطيني يتبلور في عدة منظماتٍ فلسطينية تلتقي مع بعضها في نقاطٍ وتختلف في أخرى، بعضها يلقى قبولًا عالميًّا، وبعضها يلقى قبولًا إسلاميًّا، وبعضها يلقى قبولًا عربيًّا، بعضُها تدعمه الحكومات، وبعضها تحاربه الحكومات، ولبعضها ولاءاتٌ تختلف عن البعض الآخر.

ونظرةٌ على الساحة الفلسطينية في ظلّ الحالة الدولية وتفرّد الولايات المتحدة إدارة العالم والدّعم اللانهائي للعدو الصهيوني من قِبَل أمريكا وأوروبا؛ تُصيبُ الإنسان المتابعَ بالقلق على مصير الجهاد الفلسطيني، وتطرح سؤالًا حائرًا عن المستقبل.. كيف ستكون صورتُه؟ وما هي القوى التي ستبقى؟ وما هي القوى التي ستندثر؟ لقد بدأت منظماتٌ كثيرة ووجْهتُها إسلامية وغايتُها تحرير كلّ فلسطين، ثمّ كانت النهاية هي التفريطَ في كثير من الثوابت، وغايتُها اليومَ مجرّدُ مكان تعيش فيه على أيّ جزءٍ من الأرض الفلسطينية، واليومَ ولدت منظمات جديدة لها نفس البدايات.. فهل ستستمرّ على عهدها الأول، أم ستنتهي إلى ما انتهت إليه سابقتها؟ وأتذكّر الآن قول الله الفصْل في سورة الرعد آية ١٧ : (فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

ولولا فضلُ الله ورحمته ما استطعنا أن نتبيّن على درب الجهاد في فلسطين ما الزبدُ، وما الذي ينفعُ الناس؟ لقد أضحتْ قضية فلسطين غربالًا تاريخيًّا يغربلُ

الحكومات والقيادات والمنظمات والشعوب والأفراد، فمَن الذي يكون مِن السقط، ومَن الذي يبقى في الغرابيل، هذا ما سوف تقصّه الأجيال القادمة، ونسأل الله أن يترحّموا علينا.

ما جدَّ على المتغيّرات منذُ صدور الطبعة الأولى ٢٠٠٢:

مارس ٢٠٠٢

القمّة العربية في بيروت، والسعودية تطرحُ مبادرةً تقضي باعتراف كلّ الدول العربية بإسرائيل شرطَ انسحابها من الأراضي المحتلة، والقبول بقيام دولةٍ فلسطينية عاصمتُها القدس وحلّ مشكلة اللاجئين.

٢ مارس ٢٠٠٢

الدبّابات الإسرائيلية تدكّ أسوار مقرّ الرئاسة برام الله، وتحاصر عرفات في منزله.

١ أبريل ٢٠٠٢

مظاهراتٌ مليونية في القاهرة تضامنًا مع الانتفاضة الفلسطينية، ورفضًا لحصار ياسر عرفات.

١٦ يونيو ٢٠٠٢

إسرائيل تشرعُ في بناء الجدار العازل لتطويق وعزل التجمعات الفلسطينية.

١٩ مارس ٢٠٠٣

محمود عباس رئيسًا لوزراء السلطة الفلسطينية يستقطعُ من صلاحيات الرئيس، ثمّ يقدّم استقالتَه بعد ستة أشهر، وقريع يشكّل حكومة طوارئ.

٢٢ مارس ٢٠٠٤

اغتيال الشيخ القعيد أحمد ياسين الأبُّ الروحي لحركةِ حماس عن طريق طائرة إسرائيلية.

١٧ أبريل ٢٠٠٤

اغتيال عبد العزيز الرنتيسي قائدُ حركة المقاومة الإسلامية حماس على يدِ جيش العدو الصهيوني.

٢٦ يونيو ٢٠٠٤

مظاهراتٌ إسرائيلية حاشدة ضدّ خطة شارون للانسحاب من غزة وتفكيك المستوطنات.

١٧ يوليو ٢٠٠٤

مظاهراتٌ حاشدة في الأراضي الفلسطينية ضدّ الفساد، وتعيين عرفات لمسئولين أمنيّين جدد.

١١ نوفمبر ٢٠٠٤

مقتلُ الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عن خمس وسبعين عامًا بعد تدهور

حالتِه الصحية تحت الحصار إثرَ مرض غامض، واتّهام اسرائيل بتسْميمه وهو تحت الحصار.

١٦ يناير ٢٠٠٥

فوز محمود عباس أبو مازن برئاسة السلطة الفلسطينية وقراره وقفَ العمليات المسلحة ضدّ إسرائيل.

١٢ سبتمبر ٢٠٠٥

القواتُ الإسرائيلية تنسحب من غزة.

٢٦ يناير ٢٠٠٦

حماس تفوزُ بالانتخابات التشريعية، وتشكّل الحكومة التي عارضتها الولاياتُ المتحدة وإسرائيل، ثمّ يتمّ فرض مقاطعة على حكومة حماس في قطاع غزة.

١٢ يوليو ٢٠٠٦

عمليةُ الوعد الصادق: حزب الله يقتل ٨ جنود إسرائيليين، ويأسر اثنين، فتقوم على إثْر ذلك حربُ الـ٣٣ يومًا، التي خرجت منها إسرائيل مَهزومة.

١٥ يونيو ٢٠٠٧

حماس تسيطرُ على قطاع غزة بعد مُصادمات مع ميليشيات فتح.

١٩ يونيو ٢٠٠٨

إسرائيلُ توقّع مع حماس اتفاقَ التهدئة بوساطة مصرية، وإسرائيل تستمرّ في الاعتقال والقتل.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨

قواتُ العدو الصهيوني تشنّ هجومًا وحشيًّا على غزة أطلقت عليه "الرصاص المصبوب».

١٧ يناير ٢٠٠٩

إسرائيل تعلن وقفَ إطلاق النار، وجميعُ الفصائل تقبله عدا الجبهة الشعبية. والحربُ تنتهي بعدم تحقيق الدولة الصهيونية لأيّ من أهدافها مع صمودٍ أسطوري للمقاومة. عددُ القتلى ١٣١٥، عددُ الجرحى ٥٣٠٠، وخسائرُ مادية تقدر بملياري دولار.

٢٥ يناير ٢٠١١

قيامُ ثورة ٢٥ يناير الشعبية فى مصر، وبدأ أكبر اعتصامٍ شعبي تاريخيّ في ميدان التحرير في القاهرة وامتدادُه لباقي المدن المصرية، وتنحيٍ الرئيس المصري حسني مبارك عن الحكم، وتنازله للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ليدير شئون البلاد.

يونيو ٢٠١٢

انتخاباتٌ رئاسية تأتي بالدكتور محمد مرسي- عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان- رئيسًا لمصر، وهو الأمر الذي رفع من قوة منظمة حماس، وزاد مِن سيطرتها على أوضاع غزة.

٣٠ يونيو ٢٠١٣

ثورةٌ شعبية لإسقاط حكومة الإخوان في مصر، واتهام حماس بالقيام بأعمالٍ عسكرية في الأراضي المصرية لصالح جماعة الإخوان، وتوتّر العلاقة بين حماس ومصر شعبيًّا وعسكريًّا.

٢٠١٦

محادثاتٌ بين حكومة السيسي وحماس لإعادة العلاقات تنجح في تهدئة الأجواء بين الطرفين، وفتحُ ملفِ المصالحة بين فتحٍ وحماس بوساطة مصرية.

الأربعاء ٥-١٢- ٢٠١٧

الرئيسُ الأمريكي دونالد ترامب يعلن موافقته على قرار الكونجرس الأمريكي الصادر عام ١٩٩٥ باعتبار القدس عاصمةً موحّدة لإسرائيل، وبدأ التحضيرات لنقل سفارة أمريكا من تل أبيب إلى القدس تأكيدًا لهذا الموقف.

٧-١٢-٢٠١٧

تظاهراتٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبعض الدول؛ لرفض قرار الرئيس الأمريكي ترامب.

أقترح إضافة قرار الأمم برفض قرار ترامب في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٧